

تفسير ابن كثير

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ

ثم قال : (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أي : قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قوم من قبلكم ، فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها ، فأصبحوا بها كافرين ، أي : بسببها ، أي : بينت لهم ولم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد ، وإنما سألوا على وجه التعنت والعناد . قال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أذن في الناس فقال : " يا قوم كتب عليكم الحج " . فقام رجل من بني أسد فقال : يا رسول الله ، أفي كل عام؟ فأغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضبا شديدا فقال : " والذي نفسي بيده لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذا لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم ، وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا عنه " . فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين . فهي الله عن ذلك وقال : لا تسألوا

عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم

لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه رواه ابن جرير . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين

ينزل القرآن تبد لكم) قال : لما نزلت آية الحج ، نادى النبي - صلى الله عليه وسلم - في

الناس فقال : " يا أيها الناس ، إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا " . فقالوا : يا رسول

الله ، أعاما واحدا أم كل عام ؟ فقال : " لا بل عاما واحدا ، ولو قلت : كل عام لوجبت

، ولو وجبت لكفرتم " . ثم قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) إلى

قوله : (ثم أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير . وقال خصيف ، عن مجاهد عن ابن

عباس : (لا تسألوا عن أشياء) قال : هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ، ألا ترى أنه

يقول بعد ذلك " ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا " ، قال : وأما عكرمة فقال :

إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنهوا عن ذلك . ثم قال : (قد سألتها قوم من قبلكم ثم

أصبحوا بها كافرين) رواه ابن جرير . يعني عكرمة رحمه الله : أن المراد بهذا النهي عن

سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قريش أن يجري لهم أنهارا ، وأن يجعل لهم الصفا

ذهبا وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، وقد قال الله تعالى
: (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا
بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [الإسراء : 59] وقال تعالى : (وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا
يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
. ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) [الأنعام : 109 - 111] .